الأزهر والنشاط الاجتماعى

مناظرة ألقيت بنادى
جمعية الشبان المسلمين
٢٥ ـ ٢ ـ ١٩٣٦

موضوع المناظره :
هـل يجب أن يأخذ الازهر ببعض أنواع النشاط الاجتماعى مما لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة ؟

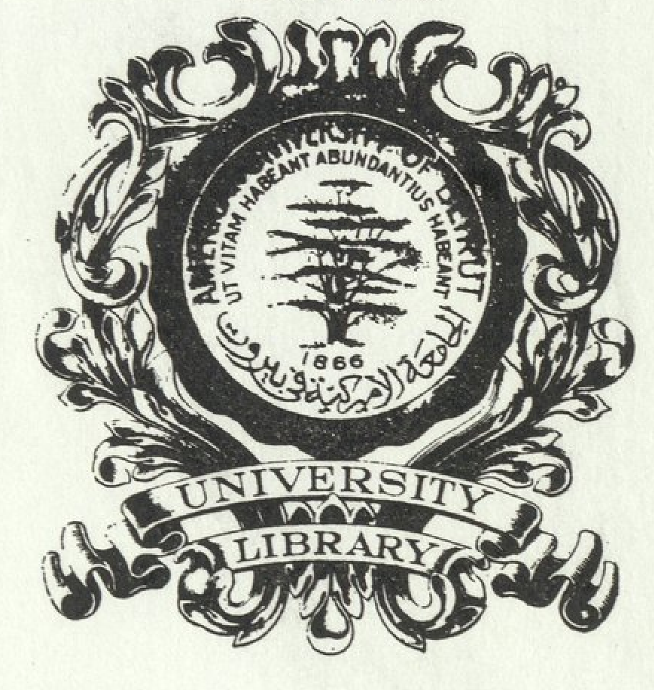
أم لا يأخذ من انواع ذلك النشاط شيئاً ؟

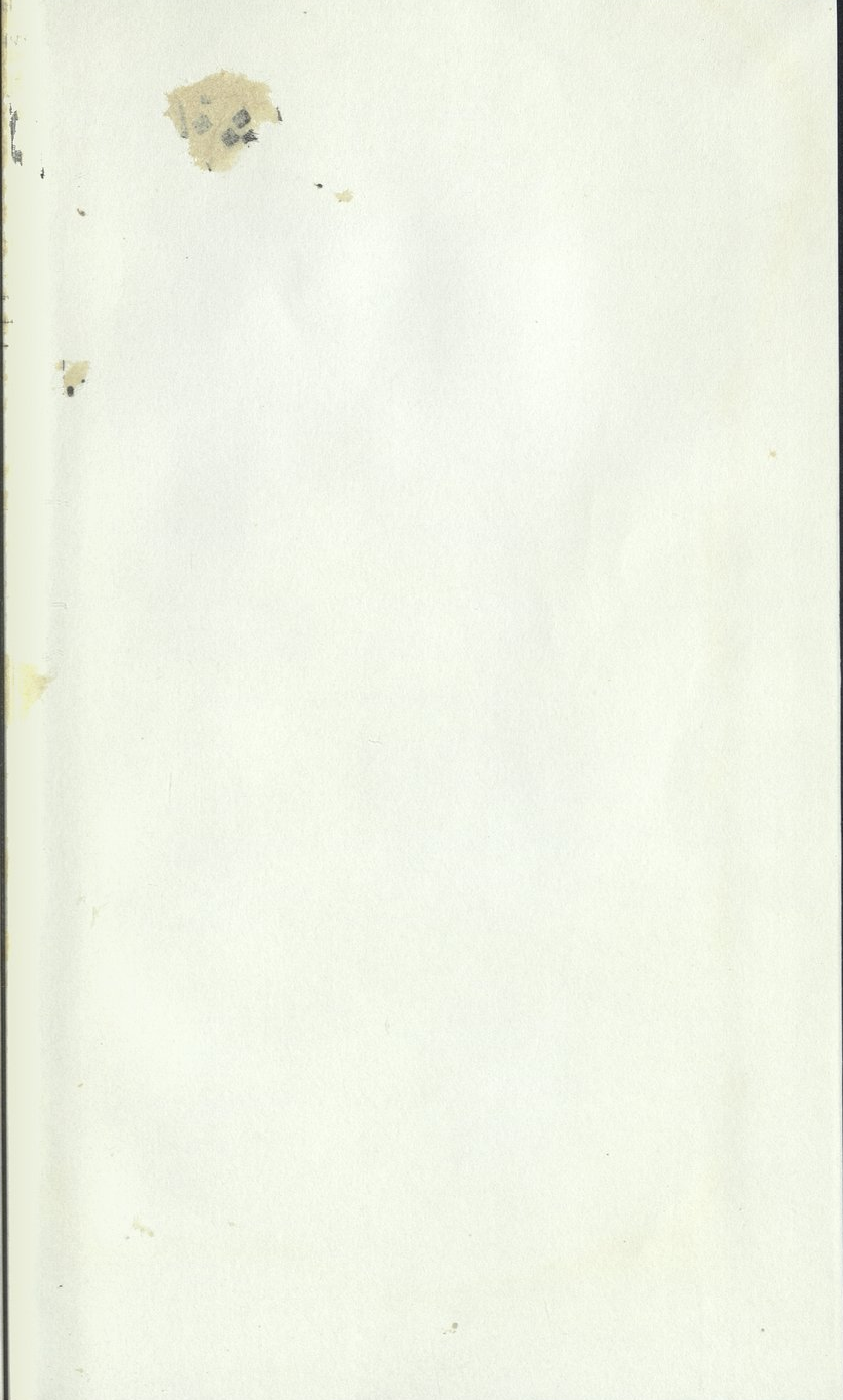
ألقاها

ابراهيم امين عبده　　　　عبد الرحمن حلمى درويش

٢٥ مارس سنة ١٩٣٦

... لصاحبها على نظاظه بالخليج قنطرة عمر شاه بالسيدة زينب بمصر


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
UNIVERSITY
LIBRARY



اهتزت شاعرية الشاعر الكبير السيد حسن القاياتى ـ إثر سماع المناظرة ـ بهذا النداء للأزهر :

نشاطك يا أزهر الصالحات ... وناضل بجسمان صعب القياد

يؤم التقى صفوف الصلاة ... فإن هيج أم صفوف الجلاد

اهداء

إلى ملحظ عيون الأزهريين عظامة وتقديرا ...

إلى مخفق قلوب الأزهريين محبـة وتمجيـدا ...

إلى موئل أماني الأزهريين إقبـالا وتوجيها ...

إلى الامام المصلح ... محمـــد مصطفى المراغي

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ محمد عبد اللطيف دراز

بغية الأزهر من دراسة علوم اللغة العربية المختلفة هى إعداد رجال يحققون للأمة بل للعالم ما نيط بهم من هداية وإصلاح ، فهم غزاة يتعمدون القلوب ليكشفوا عنها حكومة الضعف والجهالة ، وليس لهم من سلاح - فى غزوهم - سوى لسان مصقول البيان ، وقلم مرهف الأسلوب.

وقد أتى على الأزهر حين من الدهر ، وهو يحمل ذلك السلاح متكسراً مفلولا . فكانت علوم اللغة العربية تمر - حين دراستها فيه - على الألسن . دون أن تترك أثرا من فصاحة وبيان ، حتى عقمت الأفكار عن النتاج ، وضلت الهداية طريقها إلى القلوب . وكادت الاجادة فى

الخطابة والكتابة تعد فى الأزهرى نقصا أو خروجا .

ولكن الأزهر – بعد أن نهض نهضته القوية ، واتصل طلابه بخير المثل الدراسيه – قد أصبح فى طليعة الطبقات المثقفة : خطابة و كتابة .

وخفقت رايته العليا على الحركات الوطنية والاصلاحية ، وهزت صيحته الخطابية البليغة مشاعر الجماهير حتى استطاع ان يقبض على أزمتها ويسيرها فى طرائق التقدم الاجتماعى .

وهناك دليل واضح نحسه فى كتب رجال الاداره فى الأقاليم إلى تفتيش الوعظ والارشاد : يذكرون فيها الأثر الطيب لتعيين فريق من الشبان الازهريين وعاظا في مراكز الأقاليم .

وبين يدى دليل مشرق الصفحة ، على هذه النهضة الخطابية الكتابية ، فى المناظرة التى تشرفت برآستها فى نادى جمعية الشبان المسلمين ، بين الأديبين : الشيخ عبد الرحمن حلمى درويش . والشيخ ابراهيم امين عبده . من طلاب المعهد

الأزهرى. فى موضوع النشاط الاجتماعى: أيجب أن يأخذ الأزهر ببعض أنواعه مما لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة. أم لا ؟؟ . وقد تعاقب — على أثرهما — طائفة من الأدباء الأزهريين بتأييد مايتخيرون من طرفى المناظرة .

ولقد وقفني حبى للثقافة وعملى بجمعية الشبان المسلمين على كثير من المناظرات ، فسرنى ان أجد هذه المناظرة فى عوالى المناظرات وأدقها ، لما ازدحم عليها من إشراق الأساليب ، وقوة المعانى ، وحسن الأداء: فى كلا المتناظرين

ومن عجب البيان أن ترى صاحب الاجتماعية القديمة يضم إلى قديمه جديدا يكاد يطغى عليه ، وان ترى صاحب الاجتماعية الجديدة يضم الى جديده قديما يكاد يطغى عليه .. فكان كلا المتناظرين قديما جديدا معا !

وفى هذا الكتاب تسجيل للمناظرة ، ومن ورائه تسجيل للتوفيق ، ومن ورائه تسجيل للنهوض ...

فلينهض بالأزهر أبناؤه الناهضون . ؟

٢٥ مارس سنة ١٩٣٦ محمد عبد اللطيف دراز

٧

ابراهيم امين عبده

يرى أن لا يأخذ الازهر
بشىء من النشاط الاجتماعى

حياة الأزهر الماضية :

طابعها — نواحيها — محاسنها — أثرها فى الداخل والخارج .

***

الأزهر الحديث وانتسابه لماضيه فى :

الطابع — النواحى — الأثر .

***

النشاط الاجتماعى المزعوم :

أنواعه ـ ماهية كل نوع ـ مساوى كل نوع فى الازهر ـ تأثيره على الناحية العلمية فى المدرسة الحديثة

سادتى :

فى ردهة الازهر الفسيحة ، الواقعة فى صميم حرم الجامع ، تحوطها أقبية عربية الطراز ، مقامة على أعمدة من الرخام ، وقد كساها الله جلالا وجمالا ، يقول مصراعاها للقاصد :

« اخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » .

***

فى هذا البهو التالد ، ألقيت « بأهاب الشاة » افتراشا ، وفى يسراى « حقيبة الكتب » ريا بتعاليم الاسلام الخالدة « فقها وتفسيرا وحديثا »

تشد أزرها متون اللغة العربية « نحوا وصرفا وأدبا »

***

وبين أعطافى أمل حلو ، يرنو إلى الله تعالى فى خشوع ومسغبة ، ملتمسا منه الهداية والتوفيق ، فى احتساء هـذا الشراب ، المختلف اللون ، الكوثرى المذاق ، العبق الشذى والرائحة .

***

على هذه النمرقة المتواضعة ، جلست فخورا بأزهريتي معتزا بحقيبتي ، شاكرا لأنعم الله ، حيث جعل الأزهر معقل دينه الحنيف ، وموئل لغة النبي الكريم « صلعم ».

***

وبينما أنا أفتتح الحقيبة ، وأسائل نفسي ؟ .

بأي علم ستبدأ ؟ . بل أي ورد سترد ؟ .

إذ بعصفور يزقزق ، فوق قبة من قباب الأزهر : يسجع ويردد ، ويشدو ويترنم !!

فيجيد الترنيم ، ويحسن الإنشاد ، ويهيج كوامن النفس العذرية ، بنغمات شدوه ، ونبرات تغريده .

***

هنا « أيها السادة » غشيتني سنة من التفكير الصافي ، تجاوبت مع نفسي ، التي انشرحت فسمت إلى عالم الخلود والهدأة ، بعد أن تجردت من أوصاب الحياة ومشاغلها !.

***

حدثت النفس ، بما في ذلك اللحن الطبعي الوثاب ،

من وحى وإيحاء .

وودت ، لو أوتيت منطق الطير ، لأفهم ماذا ينشد ذلكم « البلبل » الشاعر

وكم كانت أمانى سعيدة وموفقة ؛ حينما أراد الله لى الفهم ، فأوحى إلى مايريد أن يوحيه هذا « الكروان » الصداح !.

***

سادتى :

لم تك أنشودة صاحبنا ؛ هراء ولغوا على غرار .

« اللى راح راح ياقلبى .. »

بل كانت أنشودة التفاخر بمجد الأزهر ، وتاريخ الأزهر . فلنشد مايعجبنى « أيها السادة » تاريخ الأزهرى القديم ، ذلكم الذى لم ينشط النشاط الاجتماعى المزعوم !!

أراه ينزح عن بلده ، حاجاً طائعا ، مطوفا بأحد الأروقة ، يقيم بها مدة حياته الأزهرية ! . وليس معه من تراث الدنيا وزخرفها ؛ سوى « بردة » من الصوف البلدى السميك ، فرشا وغطاء ، و « مخدة » يضع عليها رأسه الكبير

بآماله فى الأزهر وثقافته

***

أزهرينا هذا « ياسادة » يستيقظ من النوم مبكراً :
لا ليذهب إلى « سبورتنج » ولا إلى « ريفييرا كلوب » !!
أنما يستيقظ « ليتوضأ » وليستقبل فى هذا التبكير
« مؤذن الفجر »

***

فاذا ما التأمت الصفوف للصلاة ، كان على اليمين سباقا
فى أداء الواجب الأسمى ، واجب الشكر لله تعالى .
ترونه ياسادة فى صلاته ، متبتلا خاشعا لله حنيفا .
فاذا ما انتهى منها شاكرا مشكورا ، إنتقل إلى واجبه
الشخصى ، وغايته السامية ، إنتقل « بملازمه » إلى « حلقة
الدرس » التى تتجمع عقب صلاة الفجر « وهو على وضوئه » !!
يخوض مع شيخه فى بحار العلم والبحث ، ماشاء الله لهم أن
يخوضوا ، راضين مغتبطين !!
ولا جديد إذ أخبركم « أيها السادة » بأن الدرس كان

يستمر : لاخمسا وثلاثين دقيقة ولاساعة على الأكثر .

إنما يستمر الساعات الطوال « بدون ملل أو ضجر »
في قراءة دراسية استقرائية جميلة

هـذه الطريقـة هي التي أوحت إلى « بستالوتزى »
و « سبنسر » وغيرهما من رجال التربية بطريقة الاستقراء
العلمى المسماة اليوم « بالطريقة الجامعية »

فلنحن الرأس إعجابا بهذه الطريقة الأزهرية القديمة ،
الجامعية الحديثة : فالأزهر أبو بجدتها ومحييها ومنشئها .

هيا بنا نستوقف ذاك الأزهرى القديم نسائله إلى
أين هـــو ذاهب ، بعد انتهاء الحصة الأولى ؟

لاتعجبوا « سادتى » إذا قلت لحضراتكم : إنه من
ساعة استيقاظه للآن ؛ لم يتبلغ بلقمة ! ، ولم يقل :
« أنا أنطونيو وأنطونيو أنا . . . » ! !

إنما أروى عاطفته الدينية أولا ، وغذى عقله ثانيا ؛
فليذهب إذا ليطعم طعام الأفطار ، تقوية لجسمه المجاهد ،
لجسمه المجتهد .

ثم يشرع للدرس الثانى ، الذى ينعقد إلى الظهر ويصلى الظهر « بالطريقة السابقة ، وبالشعور نفسه » .

ويستمر سحابة يومه ؛ لا فى « ملعب الترسانة » ؛ ولا فى « مسرح برنتانيا » ! بل فى الأزهر يعبد الله بالصلاة والدرس ؛ إلى ما بعد العشاء فيتعشى ! ويقتطع من الليل ساعاته الأولى فى مذاكرة دروس الصباح .

وأخيرا يأوى إلى مضجعه البسيط ! . .

***

ما أعظمها نفسية !! جياشة بالإخلاص والوفاء ! تفانت فى غايتها ! . ووهبت لها النفس والجسم ! . فنالت البغية ، وأدت الأمانة خير الأداء ! .

***

سادتى :ـ

إليكم الآن بعض أسئلة تحوم حوله

(١) هل كان هذا الأزهرى القديم ينسج على منوال واحد لا يحيد عنه قيد شعره ؟

طبيعى أن يكون الجواب : نعم

(٢) هل كانت له زيارات فى الخارج عند سرى من سراة مصر؟ أو مداهنة لدى وجيه من وجهائها؟

لم يزر ولم يداهن أحدا أبدا!

(٣) إذاً ماهو مركزه الأدبى فى قومه إزاء علوه عليهم ؟

كان ساميا أيما سمو. حسبك دليلا على هذا السمو؛ أن سراة مصر ووجهاءها كانوا يتقربون إليه، ويخطبون وده، ويتمنون رضاه.

وكان كثير منهم يشارك حضور الدرس، تبركا به وتشرفا بمجلسه.

هـــذا هو أزهرينا القديم «ياسادة»

هوى العلم لا النشاط الاجتماعى المزعوم! عشق الأزهر ومافيه، ومدنية الأزهر ومافيها

***

فكان منه أعلام الشرق «علماء وزعماء وقادة» سجلات الأزهر كفيلة بسردها على حضراتكم. وأكتفى بعرض

أسماء معدودة من هذا العقد الفريد:

أقدم لكم صورا سريعة، مكتفيا بأسمائها فقط، لأن كل شخصية لها تاريخ يحتاج إلى دراسة مستقلة، ووقت غير هذا الوقت.

أقدم لكم:

السيوطى، والشرقاوى، والجبرتى، والشهاب المصرى، وأحمد عرابى، ومحمد عبده، وسعد زغلول، وعلى يوسف، وسيد بن على المرصفى، والأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى.

أعلام الشرق، وقادة الفكر فيه.

***

جميعهم لم ينشطوا النشاط المزعوم، ولم يغنوا ولم يمثلوا!.

***

ألا أيها الأزهرى، طبت حيا وميتا.

***

تعالوا بنا إلى الأزهرى الحديث:

نجده هو هو — لم يتغير — محافظا على تقاليده

الموروثة، معتصما بحبل الله والأزهر، قائما بواجبه خير قيام وارثا عن طبقاته السابقة عقليتها الحصيفة، ورزانتها المكتسبة من الأزهر وتعاليمه، معلنا للناس أنه جدير بتحمل أعباء الرسالة الأزهرية، وزعيم بتبليغها أحسن التبليغ. ترونها « ياسادة » ممثلة فى المبعوثين إلى الشرق رسل هداية وسلام، ومصابيح ثقافة دينية فى الأمصار النائية، وبريد الأسلام فى ربوع الشرق الأقصى.

وترونها أيضا ممثلة خير تمثيل فى فضيلة الأستاذ « مصطفى عبد الرازق » سفير الأزهر لدى الجامعة يدرس الفلسفة الأسلامية لشبابها الذين أشربوا فى قلوبهم ثقافتى « السكسون واللاتين »

وفى الدكتور « زكى مبارك » لسانا عربيا فى مدارس الفرنسيس ينشر اللغة العربية والأدب العربى.

وغيرهما كثير لم يلعبوا الكرة ولم يغنوا ولم يمثلوا.

***

سادتى : —

لعل قائلا يقول « إن الأزهر الحديث غير الأزهر القديم :

فكيف تقول : إن الأزهرى هو هو لم يتغير قديما وحديثا ؟

ومع ترحيبي لهذا الاعتراض فأنى أوجه نظره ثانية إلى تلك المجموعة الأزهرية التى قدمتها آنفا، فهى ربيبة الأزهر ، وحفيدة الطبقات السابقة ، والكل له أثره وخطره .

فلا يغرنك إذاً ماترى من مبان حديثة تنتظم مدينة الأزهر الحديثة.

هاتيك المبانى إن هى إلا الأروقة السابقة موضوعا لاشكلا . لأن هذه أروقة القرون الماضية وتلك أروقة القرن العشرين .

غاية مافى الأمر ، أن الطبقات السابقة كانت تسير على تقاليد وعادات وشكليات، محفوظة غير مدونة. فجاء الأزهرى الحديث مدونا لها ، جامعها فى هيئة « قانون مكتوب »

***

فمن كل ماتقدم « أيها السادة » ترون أن للأزهر تقاليد وعادات وأوضاعاً لها سلطة القانون وحرمة التشريع.

***

فكيف يسوغ لنا أن نقبل هذه البدعة الجديدة ، المقنعة بألفاظ معسولة ، وزلفى إلى الدين والفضيلة مفضوحة؟ هل الذوق والعرف الأزهريان ؛ يستسيغان نواحى النشاط ، التى يتهافت عليها جماعة المفتونين بكل جديد ؟

تعالوا بنا نختبر هذه النواحى ؛ ناحية ناحية ، بعيدين عن التعصب والرجعية .

***

تحت أرجلكم الآن « ياسادة » كرة القدم نستمع أولا لأنصارها فى الحديث عنها وعن محاسنها .

هم يقولون « ويا ليتهم ماقالوا ! » يقون إن الكرة :

(١) وسيلة تعارف (٣) مجرية للدم

(٢) منشطة للجسم (٤) مقوية للبدن

حسنا بسنا ماتقولون ياسادة الأنصار .

فأرجو أن تستمعوا لى لأنقض لكم كل واحدة من هذه الوحدات التى فتنتكم فألهتكم عن الواجب

أما عن الفائدة الأولى فعندى الصلاة أجل منها وأسمى .

شرعت الصلاة « ياسادة » لشكر المنعم جل وعلا « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون »

أفلا تقولون أنتم بدوركم : شرعت الكرة لشكر « جون بول » أو « فوت بول » ! لست أدرى ولن أحاول أن أدرى !!

من فوائد الصلاة أنها وسيلة التعارف الصريح .

ومن أجل ذلك سمى (المسجد) بالجامع . أى الذى يجمع المسلمين فى مكان واحد لغرض واحد وفكرة واحدة .

وفى نهاية كل صلاة، يسلم المسلم على من على يمينه ، ويسلم أيضا على من على يساره بقوله :

« السلام عليكم ورحمة الله »

ثم يتصافح الكل ،

أفلا تكون التسليمات والمصافحات وسيلة تعارف

وتقام ؟

وأى الوسيلتين أشرف وأسمى ؟

آلتعارف فى بيت الله ، وعلى طاعة الله ؟

أم التعارف فى الميدان العام وعلى قارعة الطريق ؟

أكثر من هذا شذوذا وخروجا على العرف الأزهرى

« لباس الكرة » ذلكم اللباس الذى يبين تقاسيم الجسم .

ويكشف عن الفخذين ، وهما جزء من العورة الفاحشة !

فإذا جاز لفرد ما أن يلبس لباس الكرة هذا ؛ فإنه

لايجوز أصلا للأزهرى الوقور .

ياللهول ! أبلغت الفوضى الاجتماعية مبلغ أن تجعل

من الأزهرى لاعبا مكشوف العورة ؟ !

« اللهم استر عورتنا »

أيهما أعذب جرسا ، وأجمل صلصلة ؟ قولهم فاول

باريف ! باسى يازيد ! باك ورديا عمرو ؟ أم قولنا : سمع الله

لمن حمده ، ربنا لك الحمد .

هل أحد من المسلمين ؛ صلى مرة ، وأصيب بفاول فى

رجله ، أو صدمة عنيفة فى جسمه ؟

لم يحصل شىء من هذا ، وإلا لأوجدوا فى كل مسجد فرعا للأسعاف! كما نشاهد فى النوادى والمباريات . أكثر من هذا قولهم : إنها منشطة للجسم ، مقوية للبدن . فهل الجسم الذى يؤدى يوميا ثلاثين ركعة فأكثر؛ عديم النشاط؟

وكيف نقول إنها مقوية منشطة؟ إذا كان يتحتم على اللاعب أن ينام قبل يوم اللعب ، نوما عميقا استجماعا لقواه ، وبعد اللعب ينام نوم العليل ، شاكيا متأوها !

دعنا من هذا النوع الدخيل على الأزهر . وهات ماعندك جديدا ياعصام.

الجمباز : مهزلة أيضا لاتتفق مع رجولة الأزهر وكرامته . فهل من الوقار أن ألبى نداء الضابط ؛ بالوثب عرضا ، وفتح الرجلين ، وضم العقبين ، وهير . هك أوتش

مع أن الركوع والسجود يقومان أحسن قيام بما هو مأمول من تمرينات الجمباز !

***

سادتى : —

أما منا الآن ناحية خطيرة ، ألا وهى التمثيل . إن نفس الجمهور لاتطرب للتمثيل إلا إذا كان « زوجيا » أى حوارا بين فتاة وفتى :

يعانقها وتعانقه ! تدل وهو يتوجع ! تجفو وهو يتذلل ! تغدر وهو يهدر !

إلى غير ذلك من محاورات ، كلها إغراء وفتنة .

فهل يجمل بأحد امتداح هذا النوع من التمثيل ؟

كلا — وهذا ماأتفق أنا وزميلى عليه .

بقى مايريده صاحبنا وهو التمثيل الأدبى الخالى من المرأة ! فما معنى هذا التمثيل الذى تنشده ؟ وهل هو موجود؟ أمامك الروايات ، والمسارح ، والمؤلفون ، والمخرجون ، أتحدى لو تقدم لى رواية خالية من المرأة ، وتسوى سمعة المرأة ، وتبيان نواحى الفتنة فيها ومكايدها ! إن ماتنشده أيها الزميل لهو من باب المحاضرات ، والمناظرات أولى .

وهذا ماأوقن بجماله وروعته . وعندئذ لايصح أن يسمى

تمثيلا .

أقبر هذه الفكرة ياصاح ، وانشر جديدك

***

سادتى :

باقى أمامنا الآن ، الموسيقى ، والغناء !

لنجعل من الأزهرى زمارا ومغنيا !

مرحبا بالشيخ محمد عبدالوهاب! مرحى بالشيخ أم كلثوم!

تحية لشيخ الطرب نادرة !

وأما أنت أيها الوقار الأزهرى ، والجلال الدينى ، فإلى مضجعك الأخير ! مادام أبناء أزهر اليوم ورجال الوعظ والقضاء والإفتاء فى الغد ، يريدون أن يستبدلوا رسالتك برسالة « معبد » و « الموصلى » و « فرقة الراديو الشرقية » التى تسمعنا أشياء هى والرعد سواء !

***

ماذا يعجبك من هذه الأوتار التى تنشد فى خور وضعف « وأنا إللى بعدك ضنانى » ! ؟

ماذا يطربك فى هذه الأغنية الأباحية .

« يا بنات اسكندريه مشيكو على البحر غية »

هل تسرى عنك تلك الميوعة المخنثة :

« إيه يعني لو ريحتني وعملت غيرى لعبتك »

***

أليس غناء كهذا رقية الزنا ! ؟

***

إن الموسيقى الحالية « ياسادة » لم تعلن عن نفسها الاعلان الذى نستأهله لنعيش كفن من الفنون ؛ ولكن فى بيئة غير الأزهر ، وفى معهد الموسيقى لا فى معهد الازهر ، وعلى تخت الهمبرا والكورسال ، لا على منبر الأزهر الشريف المفدى .

***

فرفقا بنفسك أيها الزميل ، لا تجهدها بحمل جسم مريض لتتخذ من الأزهر « كردونا » أو مصحة ، وإن كان الأزهر منيعا بحمد الله تعالى

أنما الأولى بك والأسمى، أن تريح الكرات الدموية في الجسم الأزهري من مرضى النفوس، ضعاف الشعور، الكسالى الذين شعارهم

يامين يجيب لى حبيبى

لأن الأزهر رجل لايضم الا الرجال

***

حسبى من الموسيقى، موسيقى الطبيعة فى شدو الأطيار على الأغصان، وفى خرير المياه بين الربى والوديان، وفى حفيف الأشجار على شاطئ النيل.

موسيقى طبعية خالدة. لاأثر للخور فيها ولا للاستخذاء.

***

سادتى:

هذه هى النواحى التى يريد صاحبنا إدخالها فى الأزهر!

لماذا؟

لأنها موجودة فى المدرسة الحديثة!

تعالوا بنا ننظر إلى آثار تلك النواحى فى الحالة العلمية بها.

هـذه النواحى قد شجعت التلاميذ على اللهو ، وحب اللعب ، والتفريط في الواجبات .

سائلوا التلاميذ من أعماق قلوبهم :

أيهما أفضل ؟ حضور مباراة بين الخديوية وفؤاد الأول ؟ أم حضور درس أجرومية ؟

أيهما أعذب وأنشط ؟

مذاكرة درس الصباح ؟ أم مذاكرة نوتة من النوت التى تطبعها مجلة الصباح ؟

طبقوا عليهم قانون « انشتين » فى النسبية ، إذا جلسوا أمام الشطرنج ، أم إذا جلسوا أمام تمارين هندسة ؟

***

وهـكذا من عدم المبالاة بالدرس ، يتبعها ضعف فى محصولهم العلمى !

وتكون النتيجة الطبيعية لهذا كله : فقر المدرسة الحديثة من ظهور أعلام مشاهير :

كعبد العزيز فهمى باشا . وعلى ابراهيم باشا ، ومحمـد

خالد حسنين بك . وغيرهم ممن تخرجوا من المدرسة القديمة، ولم يفتنهم النشاط الاجتماعى كما فتن هؤلاء من بعد .

فهل بذرة لم تنبت نباتا حسنا فى تربتها ؛ ينتظر منها أن تؤتى أكلها فى غير تربتها ؟

***

هذا هو رأيى أيها السادة : أقدمه لحضراتكم والرأى لكم أولا وأخيرا — والسلام ؟

عبد الرحمن حلمى درويش

يرى أن يأخذ الأزهر ببعض أنواع النشاط
الاجتماعى مما لا يتعارض مع روح الدين والفضيله

وسالة الأزهر — ازدهار النشاط الاجتماعى أيام عظمة الأسلام ـ عصر الجمود والتأخر — استنكار النشاط الاجتماعى فى ذلك العصر — النشاط الاجتماعى فى المدنية الحديثة ـ الأزهر فى جموده — الأصلاح العلمى للأزهر الأزهر الحديث اليوم ـ فقدان النشاط الاجتماعى فيه — سبب ذلك والرد عليه — هل يعارض نشاط الأزهر اجتماعيا مهمته؟ ـ انواع النشاط الاجتماعى وفوائدها ـ ماذا يأخذ الأزهر منها ـ كلمة ختامية

أيها السادة

لست أدرى وقد تحدث زميلى حديثه الساحر ، بتلك الألفاظ المنمقة ، كيف أوفق فيما أنا مقدم عليه ؟ وكيف أنال ثقتكم للرأى الذى سأدافع عنه ؟ حتى أخرج من دفاعى بعلم النصر للشباب ، وحتى يخرج الأزهر من وراء ذلك شابا فتيا قويا مجددا يأخذ الحياة من طريقها الاجتماعى المزدهر ، كى يؤدى رسالته كاملة على خير الطرق وأجملها .

أقول لست أدرى كيف أوفق فى ذلك ... ولكن ... لم لا أوفق أيها السادة ؟ ألست مؤمنا قوى الايمان بما أحدثكم به .. ؟ أو لست أعرف للحق سلطانه على قلوبكم ؟ ألست مع هذا متحدثا اليكم أنتم الشباب بحديث الشباب القوى المجدد الذى يريد أن يحيا حياة حرة تلائم روحها روح العصر الذى يعيش فيه ؟ ....

اذن فلأستمد من كل هذا قوة ، وما أشدها قوة تعتمد على الحق والايمان ... وعلى الشباب ! .

رسالة الأزهر :-

أيها السادة

ماهى رسالة الأزهر فى قديمه وجديده ؟

لقد سمعتم قول زميلى فى ذلك : أن الأزهر قد قام قديما على حفظ الشريعة الاسلامية الغراء، وعلى ترقية اللغة العربية والسير بها نحو طريق الكمال ، وأنه سيسير فى مستقبله على ذلك حتى يأتى الله أمرا كان مفعولا !

وقد رأى زميلى أن يبقى الأزهر على نشاطه الذى كان معه منذ الف عام فلا يستجد نشاطا غيره حتى لايخرج عن مهمته التى وجد لأجلها وأنا موافق زميلى على تصويره رسالة الأزهر ... ولكن أحق ماقاله من أن أداء الأزهر لهذه الرسالة يمنع رجاله من أن يأخذوا ببعض أنواع النشاط الاجتماعى الحديث مما لايتعارض مع روح الدين والفضيلة؟.. وأنه يجب لكى يؤدى رسالته كاملة أن يسير كما هو على تقاليده الماضية لايأخذ من أنواع النشاط الأجتماعى شيئا ؟ ...

أننا لو أردنا الأجابة على هذا السؤال بأنصاف ، لوجب أن نرجع الى الوراء ونستشهد تاريخ الأسلام والعربية ، لنرى جواب المسلمين فى العصور الاولى التى كانت تؤدى فيها رسالة الأسلام والعربية خير الأداء ، وهى الرسالة التى طبع الأزهر بطابعها ...

أزدهار النشاط الاجتماعى أيام عظمة الاسلام :—

لقد جاء الاسلام متدينا لاينسى نصيبه من الدنيا ! . ممزقا عنه ثوب الرهبانية ، مرتديا أجدّ رداء للنشاط الاجتماعى المعاصر له

ولست — أيها السادة — ملقيا هذا الكلام على عواهنه ، بل بيدى الدليل على ذلك ، وسيكون من دواعى الشرف لى والقوة لدليلى ، ان ابتدىء بقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم « روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فأن القلوب أذا كلت عميت »

فبم كانت تروح القلوب فى عهده ؟ ..

استمعوا الحديث الشريف يعرض عليكم نوعا من

أنواع النشاط الاجتماعى كان معروفا فى ذلك العصر رآه النبى صلى الله عليه وسلم ووافق عليه

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت « لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على باب حجرتى، والحبشه يلعبون بحرابهم فى المسجد ، ورسول الله يسترنى بردائه ، أنظر الى لعبهم ، فزجرهم عمر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : دعهم ! .. أمنا بنى أرفدة (وفى روايه أخرى) دعهم .. جدوا يابنى أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن فى ديننا فسحة » فذلك تشريع النبى صلى الله عليه وسلم كما يقول الكرمانى — فى شرح هذا الحديث — « قد ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشه لتنظر الى لعبهم ، لتضبط السنة فى ذلك وتنقل تلك الحركات المحكمة الى بعض من يأتى من أبناء المسلمين ، وتعرفهم بذلك [1] »

وتروى كتب السيرة حكاية للنبى صلى الله عليه وسلم مع رجل مصارع مشهور يسمى « ركامة » كان معروفا

---

(١) العينى جزء ٢ صفحة ٤٠٥

بقوته الفائقة تراهن معه النبي صلى الله عليه وسلم ، على أن يصارعه فأن صرعه أسلم ! فقبل « ركانة » الرهان فصارعه النبي صلى الله عليه وسلم وصرعه . فأسلم الرجل .!!

هذا – أيها السادة – هو موقف النبي صلى الله عليه وسلم من النشاط الاجتماعى ، ومن الترفيه عن النفس ، ومن ذلك يجب أن نستن السنة التى نسير عليها ...

وسار الصحابة على مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من ترفيه المسلمين بما تهوى قلوبهم مما لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة ،

وللامام على بن أبى طالب كلمة بلغت السمو فى الحكمة فى وجوب الترفيه عن النفس أذ قال :

« أجموا هذه القلوب ، والتمسوا لها طرق الحكمة ، فأنها تمل كما تمل الأبدان ، والنفس مؤثرة للهوى ، آخذة بالهوينى ، جانحة الى اللهو ، أمارة بالسوء ، مستوطنة بالعجز ، طالبة للراحة ، نافرة عن العمل ، فأن أكرهتها أنضيتها ، وأن

أهملتها أرديتها » (١)

أيها السادة

كان يكفيني ماذكرت لكم ، من سنة الرسول الأعظم ، ومن كلام الأمام على بن أبى طالب ، استدلالا على عدم ممانعة الأسلام للنشاط الاجتماعي والترفيه عن النفس ، وحسبنا ذلك قوة ودليلا . !

على أننا فى تتبعنا لتاريخ الأسلام ـ فى عصوره المزهرة ـ وجدنا المسلمين يوالون الأخذ بأسباب النشاط الاجتماعى ، ووجدنا من قادتهم وأئمتهم رضا بذلك ، بل وتشجيعا عليه وأحب أن أعرض لكم بعض مقالهم وفعالهم فى ذلك ، كى نستكمل البيان

ذكر الراغب فى محاضرات الأدباء أن فى الأثر « دار القلب فأذا نشط فأودعه ، وأذا افتر فتودعه »

وفى أثر آخر « تفسك مطيتك ! أن رفهتها اضطلعت ، وأن تحاملت عليها انقطعت »

---

(١) العقد الفريد . نهاية الأرب

وحكى الشريشى فى شرح مقامات الحريرى ما كان من احتفال الخليفة هارون الرشيد - فى جمع من العلماء - بسباق الخيل فقال :

« أن الرشيد أجرى الخيل يوما بالرقة ، وكان معه جمع من حاشيته من العلماء والأمراء ، فوقف متلوما حتى طلعت ، فأذا فى أولها فرسان فى عنان واحد، فتأملهما وقال. فرسى والله ! . . ثم تأمل وقال : وفرس ابني عبد الله ! .. فجاء الفرسان أمام الخيل : فرسه السابق : وفرس المأمون المصلى فسر بذلك الرشيد سرورا عظيما »

وسئل الأمام أبو حنيفة : ماتقول فى الغناء ؟ فقال « ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر » وسئل العتابى نفس هذا السؤال فقال « حلال من الفائق حرام من غير الحاذق »

ولابن الراوندى كلمة متطرفة نوعا ما فى الغناء — وذلك لنزعته المعروفة — أذ يقول « اختلفوا فى جواز الغناء : هل هو حلال أم حرام ؟

وأنا أخالف الفريقين فأقول هو واجب »

ولقد كان كل من الغناء والموسيقى مظهرا بينا من مظاهر النشاط الاجتماعى فى عصور ازدهار الدولة الأسلامية ؛ حتى أفاض العلماء والكتاب فى ذكره ، وسأكتفى الآن بما ذكرت

أيها السادة :

هذا ما كان أيام ازدهار الأسلام ، وأيام ازدهار العربية ومنه ترون كيف أن اللعب بالحراب ، والمصارعة ، وسباق الخيل ، والغناء ، والموسيقى كان يأخذ بها رجال الأسلام ، وترون أيضا كيف كان يحض رجال العربية على الترفيه عن النفس لأن (القلوب إذا كلت عميت).

عصر الجمود والتأخر :—

سادتى

بقى النشاط الاجتماعى مزدهرا بين المسلمين ... الى أن جاء العصر الذى يحدثنا عنه الأمام محمد عبده فى مقدمة رسالة التوحيد ، بقوله : « أنتشرت الفوضى العقلية بين

المسلمين تحت حماية الجهلة من ساستهم ، فجاء قوم ظنوا فى أنفسهم مالم يعترف العلم به لهم ، فوضعوا مالم يعد للأسلام قبل باحتماله ، غير أنهم وجدوا من نقص المعارف أنصارا ومن البعد عن ينابيع الدين أعوانا ، فشردوا بالعقـول عن مواطنها ، وتحكموا فى التضليل والتـكفير ، وغلوا فى ذلك حتى قلدوا بعض من سبق من الأمم فى دعوى العداوة بين العلم والدين وقالوا لما تصف ألسنتهم الـكذب ، هذا حـلال وهذا حرام! وهذا كفر وهذا أسلام ! ، والدين من وراء مايتوهمون ، والله جل شأنه فوق مايظنون وما يصفون »

استنـكار النشاط الاجتماعى فى ذلك العصر :

جاءت تلك الفترة — أيها السادة — التى رأيتم كيف يقرر الأمام محمد عبده أنه قد أعلنت فيها العداوة بين العلم والدين ، وبطبيعة الحال أعلنت العداوة بين الدين والنشاط الاجتماعى ، فيجب أن يخمد صوته بين المسلمين ، وليس ذلك فحسب ! بل يجب أن يعتبر محـرماً ! وان يحـارب محاربة عنيفة باسم الدين ! ...

وكان الأزهر فى ذلك الوقت معقلا من معاقل الدين المهمة ، فخمد فيه صوت النشاط الاجتماعى، واعتبر كل أنواعه كفرا ! . أو فسادا ! . أو زندقة ! . حسب ما يوحيه « هؤلاء القوم الذين ظنوا فى أنفسهم مالم يعترف العلم به لهم » كما يقول الأمام محمد عبده

النشاط الاجتماعى فى المدينة الحديثة

أيها السادة

ألى جانب هذا ظهرت المدنية الحديثة، ووضح النشاط الاجتماعى فيها وضوحا ظاهرا ، بل اعتبر عاملا مهما من عوامل تلك النهضة . . . .

وسار الشرق بعيدا عن تلك النهضة ، حتى جاء محمد على باشا ، وفتح باب مصر على مصراعيه لاستقبال مايفيد من أنواع المدنية الغربية ، وأرسل البعثات العلمية من طلبة الأزهر الى الخارج ، فجاءت هذه البعثات لتكون النواة الأولى للمدارس المصرية الحديثة وطفرت تلك المدارس المصرية طفرات كثيرة نحو التعليم الأوروبى ؛ وبرز فيها

النشاط الاجتماعى بجميع أنواعه ، وماذلك الا لأن رجال التربية الذين يشرفون على تلك المدارس وجدوا ذلك النشاط لازمة من لوازم الرقى العلمى والخلقى الذى تريد أن تبثه المدارس المصرية فى نفوس طلابها ...

***

الأزهر فى جموده:

ألى جانب هذا — أيها السادة — كان يعيش الازهر منفردا ينظر آسفا ألى ما استلب منه ويتمنى ذلك العهد الزاهر الذى كان له، وسار سنين يمثل ذلك الرأى الذى أثبته الأمام محمد عبده وكأنه يقضى حياته على هامش الحياة !!

ألى أن جاء الأمام جمال الدين الافغانى وخليفته الأمام محمد عبده من بعده ونفخا فيه من روحهما ، ليخرجالنا المدنية الشرقية كما كانت ، مزهرة نامية تغذى الروح والجسم ؛ وتنير السبيل أمام سعادة الدنيا والآخرة : فوجدت تلك الدعوة آذانا صاغية فى بعض طلبة الأزهر فانفصلوا عنه ، وساروا فى طريقهم بعلم وحزم ؛ إلى أن أصبح منهم قادة للشرق ...

ألاصلاح العلمى للأزهر :

ولكن ليس هذا – ايها السادة – الذى كان يريده الأمام محمد عبده وانما كان يريد أصلاح الازهر فى صميمه فوضع فيه بذرة الأصلاح التى نمت وترعرعت فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وانبثت لنا ذلك الازهر الحديث اليوم شابا فتيا مجددا يعلن بقوة وحرارة : أن مشعل المدنية الشرقية أصبح فى يده ، وسيحمله عاليا لينير به الطريق أمام هؤلاء المفتونين بالمدنية الغربية ، وليعرف العالم ان المدنية الشرقية – التى هو مظهرها – لاتتعارض مع المدنية الغربية ، بل كل همها أن تفهمها فهما صحيحا ، فما اتفق منها مع أخلاقنا وعاداتنا قبلناه ، وما لا يتفق مع ذلك رددناه

الأزهر الحديث اليوم :

هذا هو الأزهر الحديث – أيها السادة – الذى تقوم على عاتقه الآن مهمة أحياء المدينة الشرقية ، وأخذ مايتفق لنا من المدنية الغربية ،

وقد اقتطع الأزهر من المدنية الحديثة شطرا كبيرا

ومن علومها ، فنحن الآن ندرس الكيمياء والطبيعة وعلوم الحيوان والنبات والفلسفة الغربية . كأحدث ما وصل اليه العلم الحديث

***

فقدان النشاط الاجتماعى فى الأزهر الحديث :

أيها السادة :

هذه نبذة مختصرة عن تطور النشاط الاجتماعى فى الأسلام ، ومنها ترون كيف تطور ذلك النشاط من ازدهار الى ذبول – تبعا لتطور النهضة الأسلامية –

ونحن الآن فى الأزهر – كما رأيتم – فى نهضة إسلامية كبرى ، نحاول بها أن نحيى الحضارة الأسلامية العظيمة كما كانت مزهرة نامية ، تغذى الروح والجسم معا ، وقد قطعنا فى ذلك شوطا بعيدا من الناحية العلمية . . . ، ولكن من الغريب – أيها السادة – أننا لم نأخذ فى أزهرنا – هذا – بشىء من النشاط الاجتماعى : لا من الأنواع الشرقية السابقة – التى نحاول إحياء حضارتها – ولا ببعض الأنواع

الغربية الحديثة التي أخذنا ببعض مدنيتها !! فلم هذا التفاوت أيها السادة ؟

سبب ذلك والرد عليه:

يقولون إننا رجال دين، ويجب أن يكون رجل الدين وقورا متئدا ، لا يأخذ من أنواع ذلك النشاط شيئا ، كي لا يمنعه ذلك عن تأدية رسالته على خير الأوجه .

ثم يقولون بعد ذلك إن كل هذه الأنواع لا فائدة منها ، بل هي داخلة باب اللهو واللعب ...

كلام جميل ! .. ولكن أحق هو . !

هل يعارض نشاط الأزهري اجتماعيا مهمته ؟

كلا . . . أيها السادة

فليس يمنع الرجل الديني من تأدية رسالته ، أخذه بالنشاط الاجتماعي - الذي لا يتعارض مع روح دينه والفضيلة - فالرجل الديني يجب أن يعرف روح عصره الذي يعيش فيه ، وأن يفهمه فهما صحيحا ، وأن يدرس منه ما لا يتعارض مع الفضيلة وروح الدين ، حتى تصل دعوته الدينية الى كل

الأسماع . . .

ولا يناقض هذا جلالا ووقارا ، فقد رأيتم فى مطلع حديثى كيف كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم يأخذ به ولا يمنع . !

وأظن أنه لاخلاف بينى وبين زميلى فى أن سنة النبى صلى الله عليه وسلم يجب أن تتبع . . وأن تكون نبراسا يسير على هداه كافة المسلمين ... وليس النشاط الاجتماعى لهوا ولعبا كله ، بل فيه من الأنواع مايدخل باب الفضيلة ، وتقوية الخلق والخلق ..

أنواع النشاط الاجتماعى وفوائدها :

فمن ذلك الألعاب الرياضية التى تكون الجسم تكوينا صحيحا ، حتى ينتج لنا العقل السليم ، وكلكم يعرف فى بداءة الأمثال « أن العقل السليم فى الجسم السليم » ، والتى تعلم – بالطريق العملى – الاعتماد على النفس ، والتعاون ، والألفة ، والاصطبار ...

ومنه الكشافة التى تنمى فى الشباب ، روح الجندية ،

والطاعة ، وحب الجهاد ، والمساواة ..

ومنه الغناء والموسيقى وهما - إذا تجردا من المفسدة - عاملان قويان من عوامل الترفيه ، فى أوقات الفراغ .. وحسبك أن ترى : هزا للمشاعر ، وارتقاعا بالوجـــدان ، وترقيقا للقلوب ، وتهذيبا للروح ، وتجريدا للنفس عن المادة ، واستنباطا لأدق معانيها الانسانية ! ...

وقد كان المسلمون يغذون بالموسيقى والغناء أحساسهم فى أمورهم القلبية .. حتى فى ذكر الله !! ومنه تمثيل التاريخ ، بأظهار شخصياته المحترمة ، وأعماله المجيدة ، لتتعظ بذلك النفوس ، وتستوحى منها أمثلة عليا تسير بها فى طريق الحياة ...

ومنه وضع الروابط الأدبية ، كى تضم أشتات أدباء الأزهر ، لينتجوا لنا أدبا حيا ، وكى يعلن الازهر صوت ثقافته عاليا فى كل مجتمع وناد ...

ولقد كان يسعنى — أيها السادة — أن أذكر لكم كلاما كثيرا فى فوائد تلك الأشياء التى ذكرتها ، ولكنى أكتفى بما ذكرت ، اعتقادا منى بأن فوائد تلك الأشياء

لا ينكرها غير مكابر أو جاهل بحقيقتها السامية التى وضعت لأجلها.

ماذا يأخذ الأزهر من أنواع ذلك النشاط ؟ :

أيها السادة :

قد وضح لكم الآن أن الأزهر - فى نهضته المباركة - محتاج أشد الاحتياج الى عوامل النشاط الاجتماعى — كما تبينت لكم فوائد ذلك النشاط —

فماذا يأخذ الأزهر منه . ؟

لعل أوجب ما يأخذ ، هو الجمعيات الأدبية ، تكون فى كل كلية ، وفى كل معهد من المعاهد ، لتجمع شتات الأفكار والآراء ، وتنظم مختلف الجهود الأدبية ، ولتتمكن من إصدار مجلات خاصة تعبر عن شعور الأزهر والاسلام والعربية نحو العالم الحديث ...

ثم يأتى بعد ذلك بعض أنواع النشاط مما يحسن أن يكون فى الأقسام الثانوية والابتدائيـة خاصة ، لأن الطلبـة فى هذه الأقسام ، يستقبلون شبابهم ، فيجب ان نحيطه بجو

من القوة والترفيه الأدبى، حتى يسيروا به آمنين ...

فمن ذلك تأليف فرق للكرة والكشافة — يحسن أن تكون رسمية — حتى يخرج الأزهر الى مضمار الحياة العامة، وحتى يجد الشباب فيها ترفيها عن نفوسهم! وتقوية لأجسامهم، وبعثا لنشاطهم!

كما يحسن أن نرفه عن نفوس الطلبة، ونعلو بأحساسهم: بالموسيقى المهذبة، والغناء الجميل، ذى المعانى السامية التى تهذب الخلق..

ومن تلك الأنواع أيضا: تأليف فرق للالقاء التمثيلى للشخصيات البارزة فى التاريخ بالفضيلة أو الفصاحة أو الشجاعة، كى ننمى تلك الصفات فيهم عن ذلك الطريق المؤثر — بشرط أن لايتجاوزوا حدود الدين والفضيلة —

بقى سؤال أخير: أين تكون هذه الأشياء؟ أيعملها الأزهريون فى معاهدهم أم فى الخارج؟ أما الأدب وبعض الألعاب الرياضية — التى تحتاج إلى جمع خاص — فأنها إذا لم تقم فى داخل المعاهد فستصبح جهودا مفرقة، كأنها

لم تكن !.

وأما الالقاء التمثيلى والموسيقى فهما من عوامل الترفيه الذى أمرنا به ، ويمكن تأديتهما فى داخل الأزهر وخارجه ، إذ لا حرج مادام هذا لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة.. ومادام خاصا بالطلبة فى جموعهم الخاصة

وهناك نواح أخر – اجتماعية – وإن كانت لا تتعارض مع الدين والفضيلة ، الا أنها قد تمس الشعور العام ، فيحسن أن يشترك من يريد من الأزهريين فيها عن طريق الجمعيات المحترمة ، من مثل جمعية الشبان المسلمين ، وسيرون من مثل تلك الجمعيات إشباعا لرغبتهم الاجتماعية ، وتحقيقا لنشاطهم الذى يرغبون فيه ...

***

أيها السادة :

هذه حياتنا التى نرجوها ، منسوجة على منوال مثلنا العليا ، محبوكة على أقدار أمانينا الوثابة ... والأمانى المستعلية تطلب الغذاء من أصحابها ، فأن لم تطعم الجهود القوية ماتت

في مهدها !.

ونحن - شباب الأزهر - غايتنا تطعيم الحياة الأزهرية بعوامل النشاط ، ليستمد الأزهر - في كهولته - شبابا من شبابه !! . .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

حديث

مع الأستاذ الكبير « مصطفى عبد الرازق » .
أستاذ الفلسفة الأسلامية بالجامعة المصرية

فى ظهر يوم من بواكير هذا الربيع ، التقينا بالأستاذ الكبير « مصطفى عبد الرازق » بدار الكتب المصرية، ينقب فى كنوز العلم ، بالمكتبة التيمورية .

وقد رغبنا فى حديثه ، لنستنير برأيه فى موضوع المناظرة – ولرأى الأستاذ قيمته التى لا يستهان بها – فهو إلى مكانته العلمية والفكرية ، ملم بالحياة الأزهرية ، وقد لابسها فى مقتبل حياته.

فما عرف الأستاذ قصدنا ، حتى ابتسم فى جلال العلماء! وقال : وصلت إلى دعوتكم ، وكنت أود لو أسعدتنى الفرصة بحضورها، وأرجو أن تكونوا وفقتم فى مناظرتكم . والآن أسائلكم :

ماذا تعنون بالنشاط الاجتماعى ؟ . وهل يصح أن يكون النشاط الذى لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة، موضع خلاف على أخذ الأزهريين به ؟ حتى تقيموا بشأنه مناظرة !

ولا أخفى عليكم ، أنه عندما وصلتنى هذه الدعوة، ووقفت منها على موضوع المناظرة ، جرى بينى وبين بعض زملائى فى الجامعة - حديث كنا نتساءل فيه عن ذلك النشاط الذى تقصدون إليه فى مناظرتكم ؟ .

- تعرفون فضيلتكم أن الأزهر الآن ، آخذ فى نهضة إصلاحية بعيدة المدى ، فالتفت الأزهريون بذلك إلى آفاق جديدة ، وأقبلوا على نواح علمية لا عهد لهم بها ، بل كانت موضع استنكار المتزمتين منهم فيما مضى ! .

فالأزهر - الآن - تدرس فيه الفلسفة وتاريخها، والملل والنحل ، وعلوم الحيوان والنبات والطبيعة والكيمياء ، على أحدث ما وصلت إليه الطرق العلمية . ولكن إلى جانب هذا - نجد النشاط الاجتماعى المدرسى غير موجود فيه ، مع ما لهذا النشاط المدرسى من الأثر الكبير فى الحياة المدرسية.

فأردنا بهذه المناظرة، عرض موضوعها على الأزهريين، وبسط نواحيه، حتى يتبين لنا من ذلك، المنهج القويم، والرأى المستقيم .

— إذاً أنتم تعنون بالنشاط الاجتماعى، النشاط المدرسى، المأخوذ به فى المدارس المصرية؟ وتتناقشون فى وجوب أخذ الأزهر به؟ .

— نعم، هذا مانعنيه

قبل أن أدلى إليكم برأيى فى ذلك، أسألكم :

هل يشعر الأزهريون بفراغ كبير فى أوقاتهم، حتى أنكم تبحثون عما يشغل هذا الفراغ؟ .

— بطبيعة الحال، للأزهريين — كما لغيرهم — أوقات فراغ .

— أليس ينبغى إذاً، أن يقضى هذا الفراغ فى تزويد الفكر بما يغذيه، ويثقفه من العلوم والآداب؟ .

— نحن لم نغفل هذا، بل هو فى مقدمة مانعمل له، ولكن النفس والبدن يحتاجان الى مايفيدهما من المرح والترويح، وخصوصا فى بدء الحياة للناشئة الأزهرية .

- هذا صحيح ، وإني لا أمثل الأزهري القديم ، الذي لا يمل من القراءة والدرس ، ولا يشعر بحاجة إلى نشاط اجتماعي وراءهما . أما الأزهري الحديث ، فطبيعي أن يريد الأخذ بنصيب من الحياة المدنية . وقد قلتم إن مثار التناظر بينكم هو إدخال النشاط المدرسي في الأزهر ، فهل يخرج الأزهري عن تقاليده التي درج عليها ، ويقبل على هذا النشاط المدرسي على علاته ؟ .

أما أنا فأرى أن الأزهر يحتاج حقيقة .. إلى بعض النشاط الاجتماعي لكي يرفه عن نفسه ، ويندمج في الحياة الحديثة . ولكن الأزهر كان له دائما طابع خاص يتميز به ـ سواء كان في دراسته أو في حياته الاجتماعية . فأحب أن يحتفظ دائما بهذا الطابع وأريد فوق ذلك أن أرى الأزهر سباقا في كل ما ينافس فيه ، متفوقا على غيره . وأخشى إذا قلد الأزهر المدارس الحكومية فيما تمارسه من أنواع النشاط الاجتماعي ، أن يكون مسبوقا بحكم توفر وسائل لهذا النشاط في المدارس لا تتوافر له ـ لذلك أرى أن يحاول الأزهر أن يبتكر أنواعا جديدة ، تلائم طبيعته

ومركزه ، أو يحيى بعض الأنواع القديمة من الحضارة الأسلامية ، التى يقوم الأزهر على دراستها ، فيكون له من هـذا أو ذاك ، نشاط يحقق للأزهريين ما يصبون اليه ؛ ويميزهم عن غيرهم ، ويحفظ لهم طابعهم الخاص ، ولا يشعرون بتفوق غيرهم عليهم فى ذلك .

وأنا أحب لهم أن يكونوا دائما فى الطليعة .

— هل تقترحون أمثلة نسير على نهجها فى الابتكار ؟

— إن وجدت الرغبة الحقيقية فى الطرافة ؛ فسترون الطريق ممهـدة أمامكم ، لابتكار ما ترونه مناسبا لكم . فمثـلا تؤلفون جمعيات لرحلات تعين على الدراسات التاريخية ، وهذه وإن كانت موجودة فى المدارس ، إلا أنكم تميزونها بطابعكم الخاص . فتصبغونها بصبغة الدراسات الاسلامية . تسير هذه الرحلات جماعات ـ فى نظامها وحسن سلوكها ما يحبب فى الدين وأهله ـ وتذهب فى دراستها على سبيل الرياضة والفائدة العلمية ، إلى القرى وإلى المدن ؛ وتقصد فى بعض أسفارها إلى مكان خلوى كالصحراء ـ

وتمارس بعض الأعمال الشاقة، التى تعود الجسم الخشونة واحتمال المتاعب، وتكسبه قوة وعافية، وتمتع النفس بالهدوء البعيد عن ضجيج المدن، والحياة المدنية.

وبذلك تعطون لأجسامكم حقوقها، وتؤدون واجبكم

— هذا حسن وطريف وسنعمل - إن شاء الله - على الأخذ به.

فهل لاتذكرون لنا شيئا مما تشيرون علينا فى الأخذ به من الرياضة العربية ؟.

— قد كان عند العرب من ذلك الشىء الكثير : كالعدو واللعب بالحراب، وسباق الخيل ... ولعلكم بالبحث والتنقيب تجدون غير قليل مما هو ميسور لكم وملائم.

وهنا بلغت الساعة منتصف الثانية، فشكرنا لفضيلته حديثه، واستأذنا مصافحين، فصافحنا قائلا :

لعلكما تكثران من التردد على دار الكتب، فأنى أحب أن يكون طالب العلم رجلا مثقفا، لايقتصر على مايرسم له فى البرامج الدراسية.

— نعم — نحن نقضى هنا جزءا كبيرا من أوقات فراغنا .

— وماذا تقرآن من الكتب ؟.

— نقرأ الكتب العصرية ، والكتب القديمة ، لنعلم بالثقافتين : القديمة والحديثة ، ونستخلص منهما ما يتيسر لنا .

***

وبعد الفراغ من تدوين هذا الحديث القيم ، أطلعنا عليه فضيلة الأستاذ مستأذنين فى نشره فأذن متفضلا مشكورا ؟

***

تعقيب

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ « محمد عبد السلام القبانى » المدرس بكلية الشريعة

دعيت لسماع مناظرة ، بين طالبين من طلاب القسم الثانوى للأزهر الشريف ، بنادى جمعية الشبان المسلمين ، موضوعها « الأخذ بالنشاط الحديث ، أسوة للأزهر بالمدارس ، أو البقاء بالأزهر على تقاليده ووقار الدينى ..

اقتسم الطالبان موضوع المناظرة ، وكان الحفل فخما ، والشعب حاشدا ، والبيان سحرا .

كانت الكلمة الأولى للطالب الأستاذ « ابرهيم امين عبده » فأبدى عن طراز فى الأنشاء ، وبراعة الابتداء ، وحسن التخيل ، مما اختلب به أسماع الحاضرين . وكان رأيه فى المحافظة على تقاليد الأزهر ، والأمعان فى كماله ووقاره الدينى

عقب عليه الأستاذ الطالب « عبد الرحمن حلمى درويش » بالرأى الثانى ، وكان النشاط الذى يطلبه كأنما يمثله فى إلقائه وأسلوبه ، وعنايته بالاستدلال .

قام لكل من المتناظرين ، مؤيدون مرتجلون ، أخذوا بأعجاب الناس ، مما دل على أن المدرسة الأزهرية فيها نبوغ كامن ، ينتظر الأثارة ، ودلت التجربة فى هذه المناظرة بين الطالبين ، أن هذا اللون من النشاط العلمى ، أسرع فى إنضاج الطالب تفكيرا وإنشاء وخطابة ، من الدروس بطيئة الخطا . فلو استعين بمثل ذلك على إنضاج الطلبة فى العلوم لكان له أثر عجيب .

وإلى الطرفين أزجى الحديث تعقيبا:

أما أن الأزهرى يجب أن يحافظ على وقاره، ومروءته ودينه، وخلقه، فهذا مالا سبيل إلى التهاون فى شىء من ذلك لمن: سيخرج رجل دين، وقدوة أمة، وأستاذ إرشاد وتعليم.

وأما أن ذلك لايتم للأزهرى: إلا بالخمول والبعد عن وسائل النشاط الجسمى والعقلى؛ فهذا مالا يقول به من يعرف الأسلام، ويعرف سيرة نبيه، الذى لم يرسم لرجال الدين، زيا خاصا، ولا مشيا بطيئا، ولا قولا خافتا، ولا جهلا بالشئون، وبعدا عن مشاطرة الناس فى الحياة.

روينا عن نبى الأسلام، أنه كان شجاعا، وكان من شجاعته أن ذعرت المدينة يوما! فهرع الناس إلى جهة الذعر، فوجدوه صلى الله عليه وسلم قد سبقهم! يستطلع الأمر على فرس أجرد! وعاد يقول لهم: «لن تراعوا. لن تراعوا.»

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم — فى كل مظاهر النشاط والحياة — فوق الناس كافة. فأين من هذا؟ ما أصبح اليوم — مع الأسف — طابعا إسلاميا، وداء اجتماعيا فى شعوب المسلمين

من الخمول ، والضعف ، والكسل ، والتواكل والجمود ، والجهل ؛ مما أدى بالمسلمين إلى ماهم فيه اليوم ، مماهو نتيجة طبيعية لهذه الأخلاق ؛ والصفات التي شملتهم ، وأصبحت طابعالهم بين الشعوب ، ينفر الناس من دينهم ، ودين المسلمين ونبي المسلمين صلى الله عليه وسلم من ذلك براء .

وكيف يختلف المتناظران ؟ أو يلتمس أحدهما النشاط المدرسي من المدارس ، ليغذى به الأزهر ؟ . والأزهر هو الذي يدرس أرقى وأجل وأنفع أنواع النشاط ، في صميم علوم الشريعة ، من الفقه الأسلامي على جميع المذاهب ! . وذلك أنه يدرس في الفقه . كتاب السبق ، والرمي ، ومايذكر إلى ذلك ، من حمل الأثقال ؛ والمصارعة .

وقد كانت العادة قديما في المعاهد الدينية ؛ أن يمارس طلاب العلم السبق والرمي في يومي الخميس والجمعة . من كل أسبوع . يخرجون لذلك في الصحراء . وبلغنا أن العمل جار على ذلك إلى الآن في المعاهد الدينية ببعض بلاد المغرب .

فأين كرة القدم ، وكرة المضرب (تنس) ، وسائر

الرياضيات المدرسية الآن ؛ من هذه الرياضية الأسلامية !.
التي تجمع - إلى مافيها من رياضة - فنا، وعدة للمستقبل، فضلا عما
في ذلك من صبغة تتفق وجلال الأوساط الدينية . وإذا كان
السبق أولا على الخيل ، فالآن على جميع أنواع السيارات ،
والطائرات ، والغواصات ، والطواف حول العالم . وإذا كان
الرمى أولا من القسى ، فالآن من البنادق ، والمتراليوزات .

هذا هو النشاط الأسلامى ، الذى تناسيناه عمليا !
ونحن ندرسه فقها وقولا فى أخص علوم الأسلام . وغدونا
نتلمس من غيرنا ما نتلمس اليوم !.

وأما القول بأدخال الموسيقى ، والتمثيل الروائى إلى أوساط
الطلبة الدينية ، أسوة بالمدارس ! فهذا مالا يتفق وطبيعة
الأوساط الدينية ، فضلا عن أن يكون موضوع نظر
أو مناظرة .

وإنى أشكر فى النهاية ، عهد الحرية والعمل .
وأنشد الروية والفكر ؛ والبحث والاطلاع ، وأعلن
سرورى لحركة الفكر الصالح ، تدب فى شباب الأزهر

الناهض .

فليحى الأسلام مجد الدنيا!..وليحى الأزهر مجد مصر!..

وليحى الشباب مجد المستقبل !.

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكليـــة الشريعة

•••••••••

الأزهر والحياة الاجتماعية (١)

بقلم الأستاذ الدكتور « زكى مبارك »

تلقيت دعوة من « الأسرة الأدبية » بالمعهد الأزهرى لحضور مناظرة ، تحت رياسة الأستاذ الشيخ « محمد عبد اللطيف دراز » ومع الدعوة هذه الكلمة .

« تلح الأسرة فى تلبية دعوتها ، لترى من أدب الأزهريين ما كنت تتمناه دائما ، وتعتبر الأسرة عدم حضور حضرتكم بمثابة تخل عن نصرة الأدب فى الأزهر » .

والحق أنى كنت أرجو دائما أن يكون الأزهر ، على رأس الحياة الأدبية فليس من المستغرب أن أعطف على بشائر النهوض الأدبى ، فى ذلك المعهد الجليل . أما التخلف عن حضور المناظرة ، فلن يكون من علامات التخلى عن نصرة الأزهريين .. فأنا رجل كثير الشواغل ؛ ولا أعرف سهرات القاهرة ، إلا فى بعض ليالى الصيف . فالتخلف

---

(١) نشرت بصحيفة البلاغ يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٦

لا يقع مني عن صلف أو استخفاف ، وإنما يقع لأسباب يعرفها الأصدقاء الأعزاء الذين تحرمني الشواغل من الأنس بسمرهم اللطيف ، ولا مجال للشكوى ـ والحمد لله ـ فأنا موزع الوقت بين الصحافة والتدريس والتأليف . وهى شواغل جذابة ، يأنس بها العقل ، والقلب ، والوجدان .

ولكن ماموضوع المناظرة ، التى أقامها الازهريون ؟

موضوعها :

« هل يجب أن يأخذ الأزهر ببعض أنواع النشاط الاجتماعى ، مما لا يتعارض مع روح الدين والفضيلة . أو لا يأخذ من أنواع ذلك النشاط شيئا »

وهذا السؤال يدل على أن الأزهريين يشعرون بالعزلة عن المجتمع ، وهو شعور غريب أوحاه أليهم ما فى الحواضر من انقلابات اجتماعية لا يعرفها الازهريون

والواقع أن فى مصر بيئات مختلفة أشد الاختلاف ، ولكل بيئة مجتمع له خصائص ومميزات ، والازهريون متصلون حتما بشعب كثيرة من المجتمعات المصرية وهم لا يجهلون إلا مجتمعا

واحداً ، هو المجتمع الذى تقوم قواعده على أساس التمدن الحديث

فالأزهريون متصلون بأهل الريف ، وهم السواد الأعظم . ومنه يخرج الجيش ، وفيه تتكون الأصول الاولى لوحدة المجتمع ، وهم على هذا أساتذة الأمة المصرية بلاجدال ، وللثقافة الاسلامية التى يبثها الأزهريون فى البلاد أثر عظيم فى تكوين المجتمع ، ولا نكره مانكره من الرذائل ، ولا نحب مانحب من الفضائل ، إلا مدفوعين بتعاليم قديمة تلقيناها على أئمة المساجد ، وحفظناها عن العلماء القائمين بتثقيف أهل الريف.

ولا قيمة لما يدعيه المثقفون المحدثون من السيطرة على الحياة الاجتماعية ، فهؤلاء أقلية صغيرة جداً ، وهم لا يسيطرون إلا على أهل الحواضر ، وفى الحواضر نشاط اجتماعى هائل ؛ ولكنه محصور فى بيئات لا يمكن الادعاء بأنها تمثل سواد الأمة ؛ يضاف إلى هذا أن التماسك الاجتماعى قليل بين طبقات المثقفين ؛ ولست بهذا أسىء الظن ؛ وأنما هو رأى رجل خبر المجتمع المثقف وعرف ما فيه من التفكك

والانحلال وهو الدكتور مرجرات

ومن مظاهر النشاط الاجتماعي في الحواضر تنظيم الهيئات الأدبية والسياسية ولا يمكن أن يقال أن الأزهريين منعزلون عن هذا الجانب من الحياة الاجتماعية ؛ فقاعات المحاضرات تزدان بالعمائم ، وكذلك الأندية والجمعيات ، وفي الازهريين شعراء وكتاب وخطباء ومؤلفون ، ومنهم ظهر محمد عبده وأبراهيم الهلباوي وسعد زغلول وعبدالعزيز شاويش ، وفي مصر قضاة شرعيون لهم آثار معروفة في توجيه التشريع

وللأزهريين فوق هذا وذلك سلطان عظيم على الحياة الاجتماعية ، فهم الشهاب الذي يقف بالمرصاد لكل من يغريه شيطانه بالثورة على الدين والتقاليد ، وبفضلهم اعتدل كثير من المتطرفين ، ولولا جيش الأزهر في مصر لتبدلت الحال غير الحال في كثير من الشؤون وقد استطاعوا في الأعوام الأخيرة أن يجعلوا آمال الأزهر من المشكلات القومية ، وان يجعلوا أخبارهم مما يهم جرائد الصباح وجرائد المساء

ومن كل ماسلف نعرف أن الازهر غير منقطع

الصلة بالنشاط الاجتماعى ، فلم يبق إلا جانب واحد يجهله الأزهريون وهو الجانب المصبوغ بصبغة التمدن الحديث

ولكن ماهو هذا الجانب الذى يجهله أحفاد الأشمونى والصبان ؟

هل سمعتم بالجامعة المصرية ؟ هى معهد كبير يقوم بالجيزة الفيحاء ، وهذا المعهد يتفرع الى عدة كليات ، وفى كل كلية جملة من الأساتذة الأجانب الذين يمثلون أذواق رومة ولندن وباريس . وهؤلاء الأساتذة الأجانب يوحون ألى تلاميذهم حب التمدن الحديث

والآن يمكن القول بأن الطالب فى الجامعة المصرية له عادات وتقاليد لايعرفها الطالب في الجامعة الازهرية ، فالطالب فى الجامعة المصرية لايؤذيه أبدا أن يذهب ألى حفلة رقص ، ولا يضايقه أن يلمح بادرة من الخلاعة فى مشهد من مشاهد التمثيل ، ولا يستغرب أن يذهب ألى منزل أحد الأساتذة فيرى زوجته فى غرفة الاستقبال

كل هذا فى التمدن الحديث مقبول وهو أيضا من أنواع

النشاط الاجتماعى فهل يصح فى ذهن طالب أزهرى أن يذهب ألى حفلة رقص ، أو يصفق لمشهد خليع ، أو يقابل زوجة أحد الاساتذه فيقبل يدها وفقا لتقاليد العرف الحديث؟

وأرجو القارىء ، أن يلاحظ أن موقفى موقف المؤرخ للتقاليد الاجتماعية ، وما أكتب هنا لا يمثل مذهبى الخاص لأنى فى الواقع رجل مخضرم عاش فى الأزهر والجامعة المصرية وجامعة باريس ، وأنا لا أدخل بيتا إلا حاولت أن أتأدب بآداب أهله ، فإن زرت شيخاً أزهريا تجاهلت أخبار زوجته وبناته ، وأن زرت رجلا فرنسيا سألت بكل أدب عن جميع أهله ولا أخرج إلا بعد السؤال عن صحة زوجته الغالية ، ومن المجازفة أن أحكم بأن تقاليد الاوربيين حرمتهم شرف الأخلاق . وكيف يمكن القول بذلك وفيهم رجال فضلاء يسوسون الناس وينشرون العلوم والآداب

غير أن هذا لا يمنع من الجزم بأن الأزهرى يعسر عليه الاندماج فى تلك البيئات . وهو لن يرحل اليها الا بعد أن يروض نفسه على التسامح فيما ورث من الآداب الشريفة .

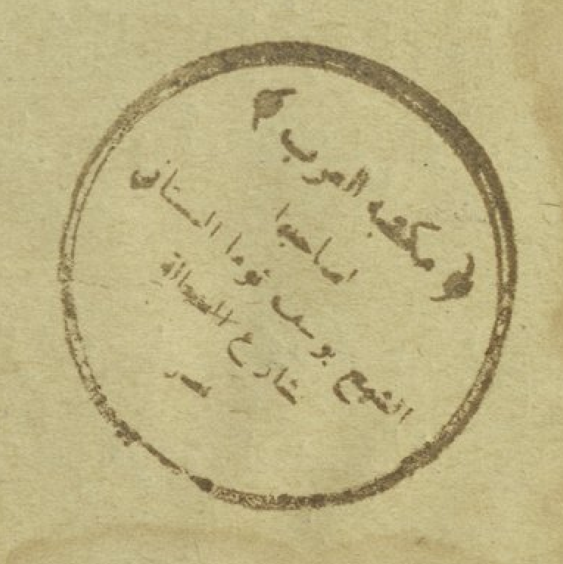
وهى آداب عزيزة عليه . ويرى من واجبه أن يقيها من الضعف والانحلال

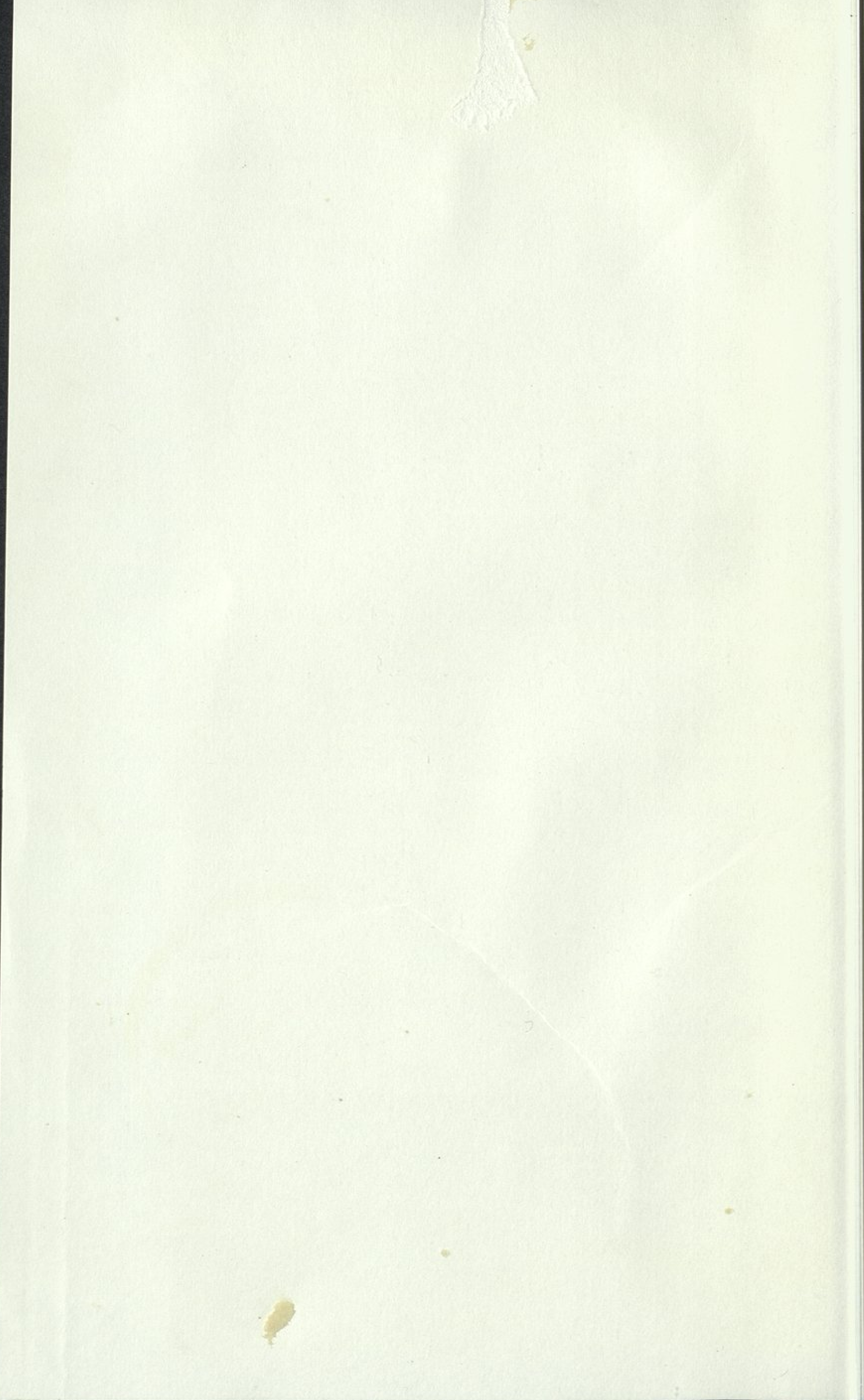
والذى أراه أن الازهر صائر لامحالة ألى التمدن الحديث ، فقد شرع أبناؤه يتعلمون اللغات الاجنبية ؛ واللغات الاجنبية لها مداخل الى الميول والأذواق ، ومن المكابرة أن نزعم بأن الاطلاع على أدب لامرتين وميسيه وبيرون وشلى وجوت لايؤثر فى أذواق من تربوا على أدب الغزالى وابن مسكوية .. ان كان العرب الاولون سلموا من التأدب بآداب من عرفوهم فى العصر القديم فسيسلم الأزهريون من التأدب بآداب من سيعرفون فى العصر الحديث

أترى « الأسرة الادبية بالمعهد الأزهرى » أنى اشتركت فى المناظرة بهذا المقال . وأنى أعطف على الأدب فى الأزهر كل العطف ؟

ألا فليعلم الأدباء عبد الرحمن حلمى ومحمد عبد الحليم وأبراهيم أمين عبده وعبد الرحيم فوده . ليعلم هؤلاء أنى

لا أخاف عليهم أن يختلفوا في الرأى . وأنما أخاف عليهم الجمود فليملأوا الدنيا جدلا وضجيجا . فأن الاختلاف فى الرأى من علائم الحياة





DATE DUE
